جمالية توظيف الشخصية التاريخية في رواية الديوان الإسبرطي
لعبد الوهاب عيساوي- مقاربة نقدية وفق المنهج التاريخي

The aestheticism of the use of the historical character in the novel Diwan al-Asparti of Abdul WahabAissaoui

طالب الدكتوراه/ مسغوني الأمين
الأستاذ الدكتور/ قويدر قيطون

قسم اللغة والأدب العربي-حمه لخضر -الوادي(الجزائر)
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.

Mesghouni-elamine@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 تاريخ النشر: 2023/07/30 تاريخ القبول: 2023/12/05

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى رصد العلاقة بين الرواية والتاريخ، من خلال توظيف الرواية الجزائرية المعاصرة للشخصية التاريخية توظيفا فنيا، بوصفها جنسا أدبيا يتماشى ومحمولات الحداثة؛ هذا الجنس الذي أثبت قدرته على التعاضد مع مختلف الأجناس الأدبية بسلاسة، بل واستيعاب الحقول المعرفية الأخرى وعلى رأسها التاريخ، ولذلك أردت أن ابحث عن جمالية توظيف الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال تناول ذلك في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي. وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية الآتية: إلى أي مدى تمكنت الرواية الجزائرية المعاصرة من تمثل الشخصيات التاريخية كقضية هامة من قضايا السرد الجزائري؟ وما دلالة ذلك التوظيف؟ وكيف استثمرها عبد الوهاب عيساوي في روايته الديوان الإسبرطي بشكل خاص؟.

الكلمات المفتاحية:الرواية الجزائرية المعاصرة؛ الديوان الإسبرطي؛ عبد الوهاب عيساوي؛المنهج التاريخي؛ الشخصية التاريخية.

Abstract:

This paper aims at finding the relation between the novel and history through the use of the historical character by the Algerian contemporary novel in an artistic way because it is a literary genre that goes with the modernist tent. This genre proved its ability to unite with other ones smoothly and to contain the other epistemological fields mainly history. Therefore, this paper looks for the aestheticism of using the historical character in the Algerian novel in Diwan al-Asparti of Abdul WahabAissaoui. On this basis, we raise the following problematic: to what extent did the Algerian contemporary novel manage to represent the historical character as an important issue of the Algerian narration? What is the connotation of this use? And how did Abdul WahabAissaoui invest it in his novel Diwan al-Asparti in particular

key words:contemporary Algerian novel;Diwan al-Asparti;Abdul WahabAissaoui;historical method;historical character.

راجت الرواية في أنحاء العالم رواجا كبيرا لتواكب مقولات الحداثة وما بعدها، حتى تتخذ شكلا مغايرا للتراث بمختلف ملابساته، فهذا الجنس يؤمن بنزعة التغيير وضرورة إدراك قضايا الواقع والإنسان وفي هذا الصدد تحتل الرواية الجزائرية مكانة هامة في ارتباطها بالواقع،ولا سيما أنها ظهرت في ظروف اجتماعية مهدت لها بأن تكون رائدة على مختلف الأجناس الأدبية،فراحت تتناول تلك الوقائع والأحداث التاريخية التي عاشتها الجزائر إبان فترة الاستعمار العثماني و الفرنسي على التوالي، ومن بينها رواية: "الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي" الذي انتقل بين طيات الرواية بسلاسة يعبر فيها عن مختلف البنى السردية التي صنعت هذا النص ومن بينها: بنية الشخصية التي وظفها توظيفا جماليا رمزيا، ينقل حقيقة تلك الحقبة على لسان هؤلاء حتى يتسنى له تحريك الأحداث والمساهمة في سيرورتها، وقد وقع الاختيار على المنهج التاريخي لوصفه منهجا قادرا على مقاربة الأحداث التاريخية بوصفها تيمة

هامة في بناء هذه الرواية. وعلى هذا الأساس ،إلى أي مدى تمكن الكاتب من تصوير الشخصية التاريخية وما هي أهم أبعادها ؟

1- الرواية الجزائرية المعاصرة في ظل الانفتاح

على هذا الأساس يعد الخطاب الروائي من بين الفنون الأدبية التي انفتحت بشكل كبير على مختلف المجالات الأخرى، وأهمها التاريخ والمجتمع، إذ يحدها عبد الملك مرتاض في كتابه نظرية الرواية بأنها:« النثر الفني بمعناه العالي والرواية عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصول ،إنها جنس سردي منثور لأنها ابنة الملحمة ... والأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية من أجل ذلك نلفي الرواية تتخذ لها لغة سهلة الفهم»[1]، فانفتاح الخطاب الروائي على مختلف الفنون يسمح له بالامتداد والانتشار كجنس أدبي فريد بهذه الصفة، إذ لا يستطيع الشعر مثلا أن يسبر أغوار بعض المجالات الحساسة والقضايا التي قد يكون باستطاعة الرواية الخوض فيها، وهو ما يجعلها تتطور عبر الأزمان بفضل بنيتها المعقدة التي تمزج فيها بين الواقع والخيال تارة، وتضيف التاريخ تارة أخرى وتمنح للمبدع القدرة على صوغ أفكاره والتعبير عنها وتصويرها بحرية،إذ تتيح له أن يتناول مختلف القضايا الاجتماعية ومجاراة ما تتطلبه الحداثة من قلب لموازين الأدب الذي كان يقتصر سابقا على الفحولة الشعرية على اعتبار أن الرواية العربية خاصة تهتم اهتماما كبيرا بهذا المنحى، وتلتفت إلى:« قضايا المجتمع العربي... عندما انتبه العربي إلى نفسه منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجد نفسه محاطا بأسئلة لا حصر لها حول ذاته ووجوده في علاقتهما بالعالم المحيط به»[2]، فالرواية لها القدرة على سبر أغوار المجتمعات والتعبير عن مكنونات الإنسان وانشغالاته في قالب فني لا يحتم عليه صياغة معينة، أو قالبا محددا، كما الشأن في قواعد عمود الشعر، وهذا لا يعني أن لا تخضع الرواية إلى مجموعة من البنى التي تنظم مسارها مثل بنية الزمن ، بنية المكان، بنية الشخصية، صياغة الأحداث السردية وغيرها من الآليات التي يقرها النقاد.

وإن كان يقر باختين في هذا المقام بأن الرواية:« لسيت نوعا أدبيا كباقي الأنواع الأخرى لأن لها متطلبات مختلفة ولأنها تتضمن أي قانون خاص بها ،كنوع أدبي مكتمل، ولذلك تبقى

النماذج الروائية هي الفاعلة في التاريخ»[3]، فما يميز طبيعة الرواية هي الزئبقية المتغيرة حسب الزمان والمكان والشخصيات ذات الدور الفعال في نقل قضايا المجتمع الذي تنتمي إليه.

وفي هذا الصدد، خصص البحث على بنية الشخصية، وجمالية توظيفها في الرواية الجزائرية، وفق المنهج التاريخي الذي يسعى في أحد آلياته إلى البحث عن الدلالة الأولية للنص والدلالات التاريخية المنزاحة عنه، ثم رصد مدى نجاح العمل وتأثيره على الفرد والمجتمع من خلال ما حققه من تفاعل بينهما، بوصفه منهجا يعنى بمقاربة النص مقاربة خارجية من حيث إطاره التاريخي عن طريق تفسير السياق الذي أنتج فيه النص.

وقد ظهر هذا المنهج في الساحة النقدية في بداية القرن التاسع عشر على يد مجموعة من النقاد أهمهم: سانت بيف، هيبو ليت تين، و فرديناند برونتيير الذين أقروا بأن:« فهم أي شيء كان يقتضي منا فهم تاريخه»[4]، فما يعتقده طريف الخالدي أن فهم النص مثلا يقتضي منا فهم سياق إنتاجه.

2 - الشخصية الروائية: المصطلح والمفهوم

يقوم العمل الفني والخطاب الروائي تحديدا على بنى متكاملة أهمها بنية الشخصية فهي تشكل دعامة وركيزة هامه في بناء النظام العلائقي للرواية، إذ يعرفها العقاد بقوله:« إن الشخصية الروائية هي دعامة الصورة الروائية وبؤرتها و أدوات الراوي في تشكيلها تتمثل في دقة الملاحظة وحسن الترتيب وصدق الوصف لمراحل تطور الشخصية»[5]، فالعقاد يعتبر أن الشخصية في الرواية عنصر فعال يحركه الروائي وينسب له بعض القضايا الواقعية تارة، و الخيالية تارة أخرى، حتى يتسنى له تبليغ الرسالة الأدبية التي يسعى إليها، ويعرفها نادر أحمد عبد الخالق:« هي المحرك الذي يدفع بتطور الأحداث داخل العمل الروائي وقد تجلت عنده مفاهيم حول الشخصية باعتبارها المحور العام الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة في القصة وقيمتها»[6]، ومن خلال القول يستنتج أن الشخصية تحتل دورا كبيرا وهاما في الرواية فالراوي يسعى من خلالها إلى وصف الأحداث ونقلها بطريقة نوعية تؤثر في القارئ وتجعله مشاركا في العملية الإبداعية.

3- الشخصية التاريخية في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي

تعد رواية "الديوان الإسبرطي" للكاتب الجزائري "عبد الوهاب عيساوي" من أهم الروايات الجزائرية المعاصرة التي اتخذت من التاريخ سبيلا للتعبير الفني، ونسج صرح سردي يتناول مرحلة من المراحل التاريخية للحكم العثماني والفرنسي على الجزائر فبدأ بشخصية ديبون الصحفي الفرنسي الرافض للتوسع الفرنسي على أراضي الغير(الجزائر) عنوة: «ديبون :

إن الشيطان إله هذا العالم يا صديقي المبجل ديبون، وإني لمشفق عليك مما يحمله رأسك من أوهام، أنت الذي لا تزال تعتقد أن كل النساء هن المجدلية، وأن كل القادة تجل للمخلص .....أفق يا ديبون، أفق أو عد إلى مرسيليا»[7]، وما يبدو عليه النص أن الدلالة التاريخية المضمرة تكمن في تسمية الشخصية بداية: (ديبون) فما الذي يدفع كاتبا جزائريا إلى الاستناد إلى هاته التسمية الفرنسية؟ لكن عبد الوهاب عيساوي يتبع التسمية بعبارة هامة في تحليل هذا المقتطف: (مشفق عليك مما يحمله رأسك من أوهام) فربما قصد أن الغرب بصفة عامة يتوهمون احتلال الجزائر والسيطرة عليها، فشخصية (ديبون) تمثل الغرب في علاقته بالعرب، تلك العلاقة المبنية على الاستغلال والرغبة في التوسع وانتهاك الثقافة العربية وما يتبعها من دين ولغة وهوية وأصالة.

ويبدو أن الكاتب يسخر من المحتل حينما يتبع الشخصيات التي يعتمدها في نصه بعبارات عبثية يسخر فيها من الوافد نحو الجزائر لغايات استعمارية مثل الاستعمار الثقافي والتاريخي العثماني على الأرض، حيث يقول:« ديبون.. ديبون..يتناهى لي صوته يناديني من خلف الحجب، ساخرا من أوهامي، خيّل لي أنه خلفي، وفجأة التفت، أرى وجوها لا أعرفها تخبئ أجسادها داخل معاطف صوفية ... هل يمكن أن يكون كافيار قد عاد ؟ »[8]، فصداقة (كافيا) و(ديبون) هي بمثابة صداقة الدول الغربية وتعاضدها معا ضد العالم العربي الذي تمثله الجزائر من خلال الاستعمار الفرنسي وما خلفه من استدمار مس مختلف المجالات: الاجتماعية السياسية، النفسية..« لو أنك كنت هنا يا صديقي كافيار، لعرفت أنني كنت دوما على حق، ولكنك تؤثر الانتصار لروحك التي عبأتها سنوات الأسر والعبودية بمشاعر مظلمة»[9]، والغاية وراء تلك الشخصيات المختارة التي يوظفها عبد الوهاب عيساوي في خضم صرحه السردي بمثابة عباءة يتوارى خلفها من سلطة الساسة التابعين للمستعمر فكرا واعتقادا.

وفي مقام آخر، يصور الأديب بشاعة الاستيطان الجائر، فيصف الأحداث بصورة شاعرية فنية تلامس خوالج النفس وتجذب انتباه المتلقي لمدى صدق ذلك التعبير، فيقول:« في الدرب الحجري استعدت كلمات الطبيب، سحابة الإشاعات ظللت مرسيليا أياما، ثم أمطرت مسحوقا أبيض تقزز منه الناس ولكن هل صدقوا أنه لعظام بشرية»[10]، فالمستعمر يرقص على أحزان البشر وينكل بالجثث، وتلكم صور حية لما يحدث حقيقة أثناء الحرب التي تبيد المجتمع وتضمر ثقافته وتدمر مفهوم الوحدة ومبدأ الإخاء والسلم دونما أن يرف لها جفن. ويضيف: « أريد إقناع نفسي بألا أثق في هذه الإشاعات ولكن الضمير يحتم علي المعاينة، أنا خائف من وزر هذا العار»[11]، ولعله يحضرني في هذا المقام ما يؤمن به ادوارد سعيد حول قضية التابع والمتبوع فشخصية (الأنا) هنا تخشى أن تمثل صورة ذلك التابع الذي يؤمن دون بصيرة بمبدأ المثاقفة والسلم، ذلك الذي يصوره لنا الآخر ببلاهة بعد تلك الأحداث الاستعمارية التي جنت على الأخضر واليابس، إذ ورد بين طيات الرواية ما يلي: « لو كان كافيار هنا لما انتظرت طويلا مع الطبيب ولاستخرج من جيبه عظاما قد تكون لطفل صغير، أو ربما لعجوز ويهديني إياها: خذها إنها تصلح أن تنحت منها صليبا تعلقه في عنقك»[12]، فالكاتب يحاول بشكل أو بآخر كشف المستور التاريخي الذي يخفيه الكثير تسترا عن فضاعة الآخر على لسان شخصيات روائية بمسميات أجنبية من شأنها أن تقرب الصورة للقارئ في بعدها الواقعي الذي شهدته الكثير من الأقليات والمستعمرات التي جعلت منها دول المركز هامشا يجب استغلاله بطريقة أو بأخرى.

وفي هذا الصدد، يقول عيساوي:« وأنا الذي ذقت من الهزائم ما يكفيني، واترلو قصمت ظهري، ثم أسرني الأتراك متقززين مني، صيروني عبدا وقد كنت قائدا على كتيبتي»[13]، فقد شهد التاريخ أن الحكم العثماني مارس أشد أنواع العنف والسلطة على الشعب الجزائري، كما يشهد التاريخ في مقام آخر على كفاح هذا الشعب وتصديه للحكم التركي والتضحية بالنفس والنفيس من أجل تحقيق الاستقلال، فقد امتازت الكتابة الجزائرية في القرنين الماضيين بنزوعها نحو الواقع بصورة صادقة، وعبرت عن مختلف القضايا التي تؤرق الثقافة الجزائرية وتاريخها العريق في الكفاح ضد تمركز الآخر.

وقد سايرت الرواية الجزائرية المعاصرة معطيات الواقع، ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع، بحكم الظروف والوقائع التي فرضها تدخل الآخر في هذا الراهن، فالاحتلال والثورة من أهم مثيرات هذا التغير الجذري الذي مس الواقع الجزائري ولازال، لذلك يحاول عيساوي في مقامات كثيرة من الرواية:« دائما كان كافيار أفصح مني، ولكنه يعترف دوما أني

أشد عنادا منه، ومع هذا افترقنا ولم يغير كلانا أي شيء في صاحبه»[14]، فقد التزم الكاتب بتلك الحقبة التاريخية التي شهدتها الجزائر في وقت ماضي، فحاول تجسيد تلك المأساة الأخلاقية التي هددت استقرار الهوية الجزائرية، ف(كافيار) مثال على الآخر الذي يبث سم الثقافة الغربية في أعماق الجزائري بسبب إعجابه الشديد بشخصية نابليون المحتل الكاره للجزائريين ، فيقول:« كافيار:

أيها المبجل ديبون

إن الرب الذي صرت أومن به لا يرضى لي مد خد الآخر، إنه إله مسرته في سفك الدماء من أجل مجده»[15]، ففي هذا الصدد يورد الكاتب نسقا مضمرا لحضور الآخر كسلطة تزيح من يقف في طريق زحفها للتوسع والاستيطان، ولعل الكاتب يضمر نسقا دينيا يعتبره ركيزة في بناء الثقافة والشعب والمجتمع، إذ أن خلخلة هذا النسق تعود أضراره بداية على هذا المجتمع الذي يطرأ عليه تغير إجباري يفرضه هذا الآخر من أجل الاستيطان والمجد: « أطل من نافذة مكتبي فأراهم. هؤلاء المور لم يكفهم الأمان الذي أعطيناه لهم، والآن صاروا يكتبون العرائض يريدون الأملاك التي خلفها الأتراك»[16]، ويضيف: « أن هي إلا وعكة عابره، وستزول بأيام أخرى من الراحة، وعلى هؤلاء المور أن يشكروا القدر الذي ساقنا إليهم محررين من تسلط الأتراك»[17]، والواضح أن الروائي انتهج سبيلا سردياً ملفتا للانتباه من خلال الخوض في التاريخ الجزائري العثماني على لسان مجموعة من الشخصيات التاريخية التي أسندت لها مهام حكائية من شأنها أن تعبر عن زمن ماضي بصورة خيالية راقية يمتزج فيها المعطى الخيالي مع الواقعي، ليثري هذا النص السردي بتجلي هذا التاريخ المأساوي الذي مثل فيه الأتراك صورة الجبروت والتسلط والرغبة في الملك والجاه عنوة.

ولعل الروائي في هذا الخطاب يبلغ رسالة العرب في علاقتهم بالغرب من جهة، والعرب في علاقتهم ببعضهم البعض من جهة أخرى، فيقول:« ابن ميّار

لم لا يجيب على العرائض التي أرسلها كل يوم؟ لم أترك نداء لم أناده، ولا وزيرا لم أرسل إليه شكايتي، حتى أعدائي كنت أشكوهم لأنفسهم لعل الضمائر تحيا، غير أنهم لا يعقلون»[18] فشخصية (ابن ميار) هي صورة العربي المحتل الذي يطلب النجدة من أخيه العربي ولا تلبى نجدته، وقد يؤدي هذا المقتطف إلى استحضار القضية الفلسطينية وغيرها من قضايا البلدان العربية المحتلة التي ما لبثت تطلب يد العون دون جدوى، فقد تشتتت الهوية العربية بفعل

الانفتاح على الآخر، سواء أكان ذلك بوعي أو بسلطة، فأسفر ذلك على بروز تناقضات داخلية بين العرب أنفسهم، واهتز الكيات الحضاري والتاريخي لهؤلاء، فبات العربي يعاني من تلك التعددية الهوياتية في عالم واحد يتفرع بين سلطات متعدية يتحكم فيها الدين والعرف والقانون، في حين يتم التغافل عن الإنسان والإنسانية كقضية هامة يبتغي الروائي عبد الوهاب عيساوي إقحامها في هذا الخطاب الروائي التاريخي.

ولأن التاريخ منبت الإنسان وأصالته، فعلى هذا الإنسان أن يلح على معرفة مختلف الحقائق التاريخية، والحث على التشبث بالتاريخ، يقول عيساوي:« كل الضباط الذين التقيتهم اتهموني بالسعي لعودة العثمانيين، ولم أكن لأنكر ولا لأوافقهم، أحاول فقط جرهم فيخيب أملهم وينهون الحوار بالتهمة نفسها، وكافيار كان أسرعهم إلى ذلك. حين يملأ الحقد القلوب فلن تتجلى لها الحقيقة»[19]، فصوت الراوي: (اتهموني، التقيتهم، أوافقهم، ..) في هذا المقتطف يتنكر للوجود الكولونيالي بمختلف أبعاده وامتداداته الزمنية التي تعود إلى قرون مضت، ثم يؤسس لجذرية وجودية جديدة خالية من هذه السلطة، يتخلص فيها الجزائري من لاهوت العثماني والفرنسي على الجزائر ورفض الاندماج والانضواء تحت سلطتهم والانصياع لأتباعهم من أبناء الحضارة الواحدة فيقول:« تفاصيل الشائعات التي انتشرت في الجزائر لم تكن هينة، بل إن الشخص الذي روجها عليهم لما يجري في مكاتب الحكومة، ولم يكن سوى رجل واحد له هذه السبل»[20]، ولعل السبب الوجيه في هذا الاضطراب الاجتماعي يعود إلى تجاهل ضرورة الاختلاف بين العالمين العربي والغربي، فالعودة إلى هوية ما في وقت ما يبعث على الاطمئنان، في حين قد يؤدي انصهار هذين العالمين معا إلى فقدان هذا العربي إلى هويته بوصفه الطرف الهامشي في هذه المعادلة، فالكاتب يضمر دعوته في التصدي لدعاة الإدماج مع المحتل تحت أي ظرف، لأن هؤلاء اعتادوا على خوض حروب رابحة يخرجون منها ظافرين بالقوة والسيطرة.

ثم أن المبدع في هاته البنية له قدرة جبارة على تفصيل الشخصيات وخلق أدوارها فالشخصية ستار يفصل بين الشخصية الحقيقية للروائي والشخصية المتخيلة التي تحرك أحداث الرواية، فالشخصية تتكلم وتعبر عن رؤاه وتبطش بيده، فقد تجسد التاريخ الوحشي في صورة الدولة (الجيش) في قوله:« حمة السلاوي

كانوا يتصايحون خلفي بلكنتهم: اقبضوا عليه. حثثت الخطى ثم وجدتني أوسع بينها، لحظات وحملت الريح رجلي، قفزت إلى الإمام ثم انعطفت، والتفت فجأة...كان جنود اليولداش مسرعين خلفي ولكني لم أكن لأتوقف، فلا يعرف الإنكشارية الرحمة حينما يتعلق الأمر بنا نحن المغاربة»[21]،فالمؤلف تمكن بمهارة من يعبر عن ألم الشخصية (حمة السلاوي) ونقل بؤسها وخوفها من الجيش الإنكشاري الذي أرعب العالم، فالانكشاريون مثلوا قوة ضاربة للدولة العثمانية بقيادة السلطان مراد الأول 1363م بعد تمرد الأتراك، فهم جنود ذو بنى جسدية قوية تفرض سيطرتها على الضعفاء، ولعل هذه الشخصية الضعيفة التي تكافح هذا الجيش تجسد جمعا غفيرا من العرب وتمثل صورة الجزائري لاسيما في فترة الحرب وما تبعه من عشرية سوداء ضحى المجتمع فيها بالكثير من الأرواح، ويضيف في وصف هذه الشخصية:« كان مقدرا عليك يا حمة الركض طوال عمرك، ومذ كنت صغيرا، لا يحتمل التجار رؤيتك تخرج الكلمات من فمك بذيئة فتفرق الناس من حولك»[22]، ويبدو أن الروائي عبد الوهاب عيساوي يمتلك رؤيا استشرافية ثاقبة حول مصير العرب إبان وبعد الحرب، فقد بث بصورة ما عمق القضية التي يتناولها ويفطن القارئ إلى ضرورة الوعي ببعض الحقائق التي اختفت من صفحات التاريخ، فالركض كما يصوره عيساوي هو العربي التابع إلى الغرب على مر العصور، لأنه يأبى التفتيش في التاريخ وتعرية الحقيقة التي ظلت متوارية ردحا من الزمن.

وشخصية (السلاوي) صورة العربي الذي يدافع عن شرفه ووطنه ولا يخشى عواقب مخالفة هذا التيار التابع، يقول:« وصول المزوار حاملا سوطه، نظر تجاهي وأشار بسوطه أن أدخل، ارتخت رجلاي وهممت بالامتثال لطلبه، لكن أصوات النساء تناهت إلي تحثني ألا أدخل، فتماسكت وبقيت متشبثة بالباب، وحركت رأسي بالرفض فرفع سوطه عاليا وهم يهوي به، فتمسكت أكثر بالباب أنتظر ألم الضرب وأغمضت عيني ثم حين فتحتها رأيت شيئا غريبا، يد السلاوي تحكم قبضتها على ذراع المزوار، ثم بحركة سريعة هوى المزوار على الأرض»[23]، ويتضح أن (السلاوي) شخصية ذات مبادئ وأخلاق قد تقلص مدى الفجيعة التي جسدتها مختلف شخصيات الرواية، فالروائي قد كسر روتين

البشاعة بشخصية (سلاوي) التي تبعث على الأمل والتحلي بالإيمان بعروبة العربي وأصالته التي يشتهيها الآخر بعنف، فهذه الرواية التاريخية كان لها القدرة على استيعاب مجريات التاريخ في حقب زمنية ماضية تتخذ موقفا سياسيا واجتماعيا من التواصل بين العالمين، فشخصية (السلاوي) تجسد شخصية عبد الوهاب عيساوي المتستر وراء حجاب اللغة المفعمة بدلالات الرفض والثورة على مختلف أشكال الاعتداء والعنف.

وفي الختام نستخلص ما يلي:

-رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي هي رواية متشعبة الأحداث، يتلاعب فيها الروائي بالزمن بين الماضي والحاضر والاستشراف للمستقبل، ليجسد الواقع المأساوي لتاريخ الجزائر في علاقته بالآخر العثماني والفرنسي على التوالي، ليصبو من خلال هذا المعطى السردي إلى بلوغ الغرض من سرد تلك الوقائع التاريخية بهذا الأسلوب التاريخي المضمر.

-اعتمد الكاتب أيضا على الهيكلة المألوفة لبناء النص السردي وفق قواعد الحكي الثابتة (اللغة الزمان، المكان، الأحداث، الشخصيات)، فقد اكتفى الروائي بزمن السرد الخطي الكلاسيكي الذي ينطلق فيه من الماضي وصولا إلى المستقبل، وهذا التوظيف الزمني مناسب للمنهج المختار(المنهج التاريخي) من جهة، ثم أن القضية تاريخية تستوجب نمطية زمنية مألوفة.

-إن ما يشكل نسق المضمر التاريخي في الرواية هو مجموعة الإيحاءات والتأويلات المتعددة التي تسعى إلى تبليغ قضية اجتماعية تاريخية في الآن نفسه، تصور الحقيقة التي يخدعنا بها الآخر في علاقته بالأنا، ذلك أن المتن الروائي يعكس الصورة المأساوية الفجائعية التي مرت بها الجزائر إبان الحكم العثماني، والتي أثرت بدورها على الراهن في مختلف المجالات.

-تمكن الروائي من سرد الأحداث عبر عدة شخصيات من نسج خياله، يخفي من وراءه إيديولوجية يسخر فيها من الغرب والتابع له على حد سواء، فهاته الإيديولوجية هي التي خلقت مضمرا سرديا يحاول القارئ فك شفراته حتى يتسنى له بلوغ الدلالة المبثوثة بحذر بين سطور النص.

-تعددت الشخصيات في الرواية بين مركزية وثانوية حسب الوظائف الموكلة لهم من قبل المؤلف والحيلة التاريخية الفنية التي جعلت الكاتب يعتمد شخصيات بتسميات أجنبية مسندا لها وظائف سلبية هي صورة أخرى من صور المضمر التاريخي الذي يطرحه بجدية في هذا العمل السردي التاريخي الواقعي الذي طغى عليه الحدث التاريخي المأساوي وما يترتب عنه من فجيعة بشرية خلدها التاريخ بدماء هؤلاء.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:
عبد الوهاب عيساوي،الديوان الإسبرطي، دار ميم، الجزائر، ط1، 2018.
المراجع:
بسام قطوس، دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، كلية الآداب، الكويت، دط، دت.
حسن صحراوي، بنية الشكل الروائي – الفضاء الزمن الشخصية – المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990.
حميد لحميداني، بنية النص السردي المركز الثقافي العربي ،لبنان ،د ط.
سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب،ط1، 2012.
عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة، الكويت، 1998.
نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية، بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان، ط1، 2009.

الهوامش :

[1]عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة، الكويت، 1998،ص25.

[2] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب،ط1، 2012، ص9.

[3] حسن صحراوي، بنية الشكل الروائي – الفضاء الزمن الشخصية – المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990،ص9.

[4] ينظر بسام قطوس، دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، كلية الآداب، الكويت، دط، دت، ص33.

[5]حميد لحميداني، بنية النص السردي المركز الثقافي العربي ، لبنان ،د ط ،ص43

[6]نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية، بين احمد علي باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان، ط1، 2009، ص40.

[7]عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم، الجزائر، ط1، 218، ص13.

[8]الرواية، ص14.

[9]الرواية، ص15.

[10]الرواية، ص16

[11]الرواية، ص17.

[12]الرواية، ص18.

[13]الرواية، ص31.

[14]الرواية، ص20.

[15]الرواية، ص30.

[16]الرواية، ص34.

[17]الرواية، ص45.

[18]الرواية، ص48.

[19]الرواية، ص51.

[20]الرواية، ص57.

[21]الرواية، ص63.

[22]الرواية، ص65.

[23]الرواية، ص82.